Al-Dirasat Al-Islamiyyah (Islamabad) 36:4 (2001)

بسم الله الرحمن الرحيم

بنية التمثيل وفاعلية التخييل في القرآن الكريم

زياد صالح الزعبي

المثل ودلالاته:

تستعمل كلمة المثل للدلالة على غير معنى، لكنها تُردُّ، كما يتبدى، في المعاجم إلى الشبه، فقد جاء في **لسان العرب**: المثل: الشبه، يقال: مِثل وَمَثَلَ وشِبه وشَبَه بمعنى واحد... والمثل: الشيء الذي يضرب لشيء مثلاً فيجعل مِثلَه، وَمَثَل الشيء: صفته... وتمثّل بالشيء: ضربه مثلاً. وقد يكون المثل بمعنى العبرة، ومنه قوله عزَّ وجل: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلاً لِلآخَرِيْنَ﴾. ويكون المثل بمعنى الآية، قال عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِبَنِيْ إِسْرَآئِيْلَ﴾. أي آية تدل على نبوَّته... ومثَّل له الشيء على صورته حتى كأنه ينظر إليه"[1].

© Dr Muhammad Hamidullah Library, IIU, Islamabad. http://iri.iiu.edu.pk/

والأمر الذي يستطيع المرء تبيُّنَه من نصِّ اللسان أنه قد جمع العناصر الدلالية التي تحملها كلمة المثل من المصادر اللغوية والبلاغية والدينية السابقة عليه. ويمكن أن يتضح هذا حين يعرض الباحث ما جاء في اللسان على ما نجده على سبيل المثال، في **مجاز القرآن** لأبي عبيدة (ت٢١٠هـ) أو **الجمهرة** للجوهري (ت٣٧٠هـ)، أو **مقاييس اللغة** لابن فارس (ت٣٩٥هـ)[٢]. ويمكن كذلك مقابلة مادة اللسان على ما جاء في **تأويل مشكل القرآن** لابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) و **جامع البيان** للطبري (ت٣١٠هـ)، و **الكشاف** للزمخشري (ت٥٣٨هـ)[٣]. ومثل هذه المقابلة تكشف عن اطراد استحضار الدلالات المتعددة المتعلقة بكلمة المثل ومشتقاتها، وربطها بأمثال القرآن الكريم. لكن الوقوف على دلالات كلمة المثل في الكتب السابقة جميعها، وهي دلالات متعددة اطَّرد تكرارها وحضورها، يمكّن من تصنيفها في إطارين كبيرين:

الأول: ويشمل الدلالات الإحالية التي تربط بين صفة الشيء الممثل به أو حاله أو صورته وبين الممثل له. وهو ما عُبِّر عنه في الكتب التراثية بالشبه والصفة والصورة التي استعملت لإيضاح دلالة "مثل" التي تعني حاملاً لغوياً يتضمّن في آن واحد دلالة على شيئين أو حالين أو صورتين إحداهما موضحة لدلالة الأخرى. ومثال هذا من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿**مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً**....﴾.

الثاني: وتقع فيه دلالات الاعتبار. وتحمل كلمة المثل في هذا الإطار معاني العبرة، والآية والعظة. كما في قوله تعالى:﴿**ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً**

عَبْداً مَمْلُوْكاً....﴾ (النحل:٧٥) وقوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلاً لِلآخِرِيْنَ﴾ (الزخرف: ٥٦).

وينبغي أن يشار هنا إلى أن هناك صلة وثيقة بين الدلالات الواقعة في الإطارين السابقين، فالدلالات في الإطار الأول تجسّد صورة أو حالة مؤثرة فعّالة، والدلالات في الإطار الثاني تمثّل الهدف أو الاستجابة التأثيرية الناجمة عنها، ولذا فإن الممكن للباحث أن ينظر للمثل من حيث بنيته وتكوينه، أو من حيث أثره وفعاليته، أو أن يبحث الأمرين معا(٤).

وثمة مسألة تستدعي أن يشار إليها هنا، وإن كان البحث سيجليها في أماكن أخرى، وهي مسألة التمييز بين المثل والتمثيل. فالمثل بالمفهوم العام لايترادف مع التمثيل إذ يعني المثل هذا الجنس الكتابي الذي نقع على مادة ضخمة ممثلة له في الكتب المعروفة بكتب الأمثال على اختلاف صنوفها وأشكالها ومصادرها. وهي في الغالب تتمثل في عبارات موجزة مصاغة صياغة تصويرية حسية تقربها للفهم، وتحمل قيماً: حِكمِية، أو تربوية، أو أخلاقية، أو اعتبارية تتجاوز التجربة الفردية لتعبّر عن الحالات العامة المشابهة جميعها(٥).

أما الأمثال القرآنية -المصطلح الشائع- فهي لا تقع في هذا الإطار. فهي من حيث بنيتها تختلف اختلافاً جذرياً عن المثل بصورته السابقة، إذ تتأسس الأمثال القرآنية الظاهرة في بُنىَ لغوية ممتدة وفي أكثر الأحيان مطولة، وإن جاءت مختصرة فإنها تحمل

إحالات على قصص معروفة. وبهذا فإن التمثيلات القرآنية - كما سيظهر- تتكون من بُنىً لغوية ودلالية خاصة تتفرد بها، وتميّزها عن غيرها، وتدعو بالتالي إلى تصنيفها تصنيفاً منبثقاً من بنيتها ومرتبطاً بنماذجها المطردة الحضور،وهو ما سنحاول القيام به فيما يأتي.

المثل والتمثيل نحو دلالة اصطلاحية:

ظل اقتران المثل والتمثيل بالتشبيه عنصراً أساساً عند النقاد والبلاغيين والمفسرين، وظل الحديث عن أحدهما يستدعي الحديث عن الآخر. لكن الأمر الحاسم الذي رافق عملية الاقتران هذه هو عدم استقرار مصطلح المثل أو التمثيل على دلالة اصطلاحية معينة، وتجلى هذا في الاختلاف المتواتر بين البلاغيين حول تحديد المحمولات الدلالية لهذا المصطلح، إضافة إلى الاختلاف في تصنيفه في أطر المصطلحات البلاغية نفسها، فمرة ينظر إليه بوصفه تشبيهاً، أو تشبيهاً مركباً، وثانية يعدّ استعارةً وثالثة يصنف في باب الاستعارة التمثيلية، ورابعة يدخل في باب الكناية[٦].

يتحدث قدامة بن جعفر (ت٣٣٧هـ) عن التمثيل بوصفه عنصراً مخالفاً للتشبيه، ويعرفه بقوله: "التمثيل: هو أن يريد الشاعر إشارة إلى معنى فيضع كلاماً يدل على معنى آخر، وذلك المعنى الآخر والكلام ينبئان عما أراد أن يشير إليه"[٧]. ثم يورد أمثلة شعرية، ولم يذكر أيّ مثل قرآني. ويتضح من شواهده أن معنى التمثيل عنده لا يجاوز شكلاً من أشكال الكناية.

أمّا ابن وهب الكاتب معاصر قدامة صاحب كتاب **البرهان في وجوه البيان** فقد أفرد باباً صغيراً تحدث فيه عن المثل، ومنه قوله: "فأمّا الحكماء والأدباء فلا يزالون يضربون الأمثال ويبيّنون للناس تصرّف الأحوال بالنظائر والأشباه والأشكال، ويرون هذا النوع من القول أنجح مطلباً، وأقرب مذهباً، ولذلك قال الله عزو جل: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِيْ هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ وإنما فعلت العلماء ذلك؛ لأن الخبر في نفسه إذا كان ممكناً، فهو يحتاج إلى ما يدل عليه وعلى صحته، والمثل مقرون بالحجة...." (٨).

وطرح ابن وهب هذا يضعنا أمام مفهوم جديد للمثل يخالف تماماً ما ورد عند قدامة ابتداءً، وعند غيره من البلاغين والنقاد، فهو ينظر إلى المثل من زاوية دلالية احتجاجية قائمة على الربط بين النظائر والأشباه التي يكون فيها الممثل به حجة مقنعة توضح الحالة أو الفكرة المتجسّدة في الممثل له، وهذا يعني أن المثل يتكون من طرفين يُؤتى بأحدهما لتقرير صحة الآخر، وهو ما أوضحه ابن وهب بقوله: "فلذلك جعل القدماء أكثر آدابها، وما دونته من علومها بالأمثال والقصص عن الأمم، ونطقت ببعضه على ألسنة الوحش والطير. وإنما أرادوا بذلك أن يجعلوا الأخبار مقرونة بذكر عواقبها، والمقدمات مضمومة إلى نتائجها، وتصريف القول فيها حتى يتبيّن للسامع ما آلت إليه أحوال أهلها عند لزومهم الآداب، أو تضييعهم إياها. ولهذا بعينه قصَّ الله علينا أقاصيص من تقدَّمنا ممن عصاه وآثر

هواه، فخسر دينه ودنياه، ومن اتبع رضاه فجعل الخير والحسنى عقباه، وصيّر الجنة مثواه ومأواه...." (٩).

ونستطيع أن نتبيّن في هذا النص عناصر من التميّز تفرده عن غيره من النصوص البلاغية والنقدية التي تناولت موضوع التمثيل، وهي:

١- ربط المثل بالأصل الدلالي القائم على الجمع بين طرفين متناظرين أو متشابهين أحدهما يأتي بياناً وإيضاحاً للآخر.

٢- اقتران المثل بالحجة، بمعنى أن الإتيان بالنظير أو الممثل به يشكل حجّة وعلّة مبيّنة للحكم المقرر في الممثل له.

٣- اقتصار الاستشهاد على المثل بالآيات القرآنية الكريمة المتعلقة بالقصص، والإحالة في الوقت نفسه على ما يماثلها من القصص والأمثال عند الأمم الأخرى (القدماء).

وهذه عناصر تلفت النظر وتثير الانتباه؛ لأنها تغفل التصور البلاغي الشائع حتى ذلك الوقت للمثل أو التمثيل إغفالاً تماماً، وتتجاهل أمثلته السائدة في الكتب البلاغية والنقدية، وتنظر إلى المثل من زاوية محورية واحدة تنحصر في المثل القرآني المتعلق بالقصص الذي يضرب لتأكيد حال الممثل له، وليكون حجة على إثباته، مما يعني أن ابن وهب يحصر مفهوم المثل في هذا الجانب، ويغفل الجوانب الأخرى الأكثر دوراناً عند البلاغيين والنقاد، وهي تلك القائمة على الربط بين المثل أو التمثيل والتشبيه. كما يغفل الإشارة إلى الأمثال القرآنية الأخرى الكثيرة غير المقترنة بالقصص. وهذا

كلّه يعني أن الرجل يطرح مفهوماً محدداً للمثل، لكنه جاء للأسف في صورة مقتضبة تحول دون الذهاب بعيداً في التحليل والبحث(١٠).

غير أنّ ما تجب الإشارة إليه في هذا السياق أن ابن وهب قد أفاد من الأفكار اليونانية، الأرسطية بخاصة، في هذا الموضع، فأرسطو يتحدث عن المثل ويرى أننا " نستعمل الأمثلة براهين، لأن الإقناع يتم بها"(١١). ومثل هذه الإفادة تتم في إطار تأثر المؤلف بصورة عامة بالإرث اليوناني، وبكتابي الشعر والخطابة الأرسطيين على وجه التحديد(١٢).

ومما تجدر ملاحظته أن البلاغيين والنقاد لم يأخذوا بهذا التصور الذي طرحه ابن وهب، بل استمروا في الحديث عن المثل مقروناً بالتشبيه وأمعنوا في بحث جوانبه البلاغية. وأهم من اشتغل بهذا الموضوع عبدالقاهر الجرجاني فقد أفرد في **أسرار البلاغة** حيزاً واسعاً للكلام على التمثيل وصوره والفارق بينه وبين التشبيه، وأسباب تأثيره في النفس(١٣). وإن بحث الجرجاني في هذا الموضوع ليرقى إلى درجة النظرية في التمثيل. فقد حاول تأصيل تصورات بلاغية نقدية حول التمثيل تستند إلى أسس معرفية متعددة المصادر، منها اللغوي، والنفسي، والبلاغي، والفلسفي، والديني. غير أن ما يعنينا هنا أن نقف على حديثه عن التمثيل في القرآن الكريم.

يبدأ الجرجاني في حديثه عن"حقيقة التشبيه والتمثيل" بالتمييز بينهما مشيراً إلى "أن الشيئين إذا شبّه أحدهما بالآخر كان ذلك على ضربين: أحدهما أن يكون من جهة أمر بيّن لا يحتاج فيه إلى تأوّل،

والآخر أن يكون الشبه محصلاً بضرب من التأوّل"[١٤]. والضرب الثاني من التشبيه هو الذي يطلق عليه الجرجاني اسم "التمثيل" ويعتبره بالتالي فرعاً خاصاً من التشبيه. ويقدم الشواهد على هذا الضرب من القرآن الكريم والشعر وأمثال العرب، ذاهباً إلى "أن المثل الحقيقي والتشبيه الذي هو الأولى بأن يسمى تمثيلاً لبعده عن التشبيه الظاهر الصريح ما تجده لا يحصل لك إلا من جملة من الكلام أو جملتين أو أكثر، حتى أن التشبيه كلما كان أوغل في كونه عقلياً محضاً كانت الحاجة إلى الجملة أكثر. ألا ترى إلى نحو قوله عزّ وجلّ: ﴿**إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَآءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَآ أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَادِرُوْنَ عَلَيْهَا أَتَاهَآ أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيْداً كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ**...﴾ كيف كثرت الجمل فيه حتى أنك ترى في هذه الآية عشر جمل إذا فصلت، وهي وإن كان قد دخل بعضها في بعض حتى كأنها جملة واحدة فإن ذلك لا يمنع من أن تكون صور الجمل معنا حاصلة تشير إليها واحدةً واحدة. ثم إن الشبه منتزع من غير أن يمكن فصل بعضها عن بعض، وإفراد شطر من شطر، حتى أنك لو حذفت جملة واحدة من أيّ موضع كان أخل ذلك بالمغزى من التشبيه..." [١٥].

ونصّ الجرجاني هذا يبين عن مسألتين مهمتين في التمثيل: الأولى تتعلق بالمعنى الذي يستخرج بالتأول من جملة الكلام، والثانية تتوجه إلى البحث في بنية التمثيل التي يراها الجرجاني بنيةً

مركبة من جمل متعددة منسوق بعضها على بعض دون إمكانية للفصل بينها. وهذا إدراك عميق دقيق لبنية التمثيل في القرآن الكريم التي ستطرد في غير شاهد من شواهده، والتي تظهر صورة تباين واضحة مع بنية المثل أو الأمثال التي تتسم بالإيجاز الشديد.

وكان ابن رشيق (ت٤٥٦هـ) معاصر الجرجاني قد تحدّث في بابين متتابعين من **العمدة** عن "التمثيل" و "المثل السائر" معتبراً التمثيل من ضروب الاستعارة وعرفه بقوله: "أن تمثل شيئاً بشيء إشارة (استعارة)". وهذا فهم لا يتفق مع التصور الذي نجده عند الجرجاني(١٦).

أما في باب المثل السائر "فيقف ابتداءً على صورة الأمثال الحكمية الموجزة المعروفة، ولكنه يلحظ ملحظاً مهماً يتعلق بالأمثال القرآنية فقال: "وقد تأتي الأمثال الطوال محكمة إذا تولاها الفصحاء من الناس. فأمّا ما كان منها في القرآن فقد ضمن الإعجاز"(١٧). وقد أورد ابن رشيق تسعة شواهد قرآنية، منها أربعة وصفها بأنها أمثال قصار، وخمسة بأنها أمثال طوال دون تقديم أيّ إيضاحات حول مفهومه للقصر والطول في الأمثال القرآنية.

وفي الكتب البلاغية المتأخرة نجد عودة واضحة إلى الحديث عن العلاقة بين الاستعارة والتشبيه من جانب والتمثيل من جانب آخر، فالسكاكي (ت٦٢٦هـ) يطلق على التمثيل "التمثيل على سبيل الاستعارة وقد يسمى التمثيل مطلقا، ومتى فشا استعماله سمي مثلا..(١٨).

أما ابن الأثير (ت٦٣٨هـ) فهو يأخذ على علماء البيان السابقين تفريقهم بين التشبيه والتمثيل، ويذهب إلى أنهما "شيء واحد لا فرق بينهما في أصل الوضع..." [١٩].

وبهذا نرى أن مصطلح التمثيل لم يستطع أن يأخذ صورة اصطلاحية واحدة فتراوح الحديث عنه بين المثل والتمثيل والمماثلة وأدخل في أبواب التشبيه والاستعارة ونسب إليهما، فمرة نجد **التشبيه التمثيلي** وأخرى **الاستعارة التمثيلية**، وأدخله بعض البلاغيين في باب **الكناية**[٢٠]. كما أن دلالة المصطلح لم تستقر على ما يمثلها باطّراد، بل حملت مدلولات متباينة تبعا لتصنيفها السابق، كما لم تتم عملية عزل الأمثال القرآنية في بنيتها اللغوية وفاعليتها التأثيرية عن المثل الذي قد يلتقي بها في بعض المناحي الدلالية أو التصنيفية، ولكنها تفارقه على نحو جذري في البنية اللغوية، والأمر الأكثر إثارة في هذا الإطار أن الدراسات المعاصرة التي بحثت في الأمثال القرآنية ظلت أسيرة بصورة واضحة للدراسات البلاغية واللغوية السابقة، إذا لم تسع إلى إفراد الأمثال القرآنية ببحث مستقل خاص بها يسعى إلى بيان الفوارق الجوهرية العميقة بينها وبين المثل الحكمي الموجز[٢٠].

التمثيل في القرآن الكريم:

شكل التمثيل أو المثل في القرآن الكريم ظاهرة كبيرة استوقفت كثيرا من الباحثين قديما وحديثا، فقدموا دراسات تناولت جوانبها العديدة المختلفة، فهناك من حاول إحصاءها وتصنيفها حسب تسلسل نزولها، أو حسب مكيها ومدنيها، وهناك من بحث

في أهميتها ووظيفتها، وهناك من حاول مقارنتها بالأمثال في الكتب السماوية الأخرى. وذهب باحثون إلى دراستها من حيث موضوعاتها، وصورها وقوة تأثيرها. وقد استطاع الباحثون تقديم مادة ثرية خصبة تدفع إلى البحث بقدر ما انجزت منه. ولذا فإن هذا البحث لن يحاول إعادة العناصر التي عالجها السابقون، ولكنه سيقف على جانب واحد في التمثيل في القرآن الكريم، وهو البنية اللغوية لآيات التمثيل التي ترد فيها صور التمثيل ظاهرة جلية، وستشفع بالحديث عن فاعليتها عبر قدرتها على التخييل[٢١].

والأمثال القرآنية الظاهرة التي سيتناولها البحث هي:

﴿وَإِذَا لَقُوْا الَّذِيْنَ آمَنُوْا قَالُوْآ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِيْنِهِمْ قَالُوْآ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُوْنَ.اَللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِيْ طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ.أُوْلَئِكَ الَّذِيْنَ اشْتَرَوُا الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوْا مُهْتَدِيْنَ.مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُوْرِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِيْ ظُلُمَاتٍ لاَ يُبْصِرُوْنَ.صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُوْنَ. أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَآءِ فِيْهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُوْنَ أَصَابِعَهُمْ فِيْ آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيْطٌ بِالْكَافِرِيْنَ. يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَآءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيْهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوْا وَلَوْ شَآءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ﴾ (البقرة: ١٤-٢٠).

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوْا مَآ أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوْا بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَآءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُوْنَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُوْنَ.وَمَثَلُ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا كَمَثَلِ الَّذِيْ يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَآءً وَنِدَآءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ

يَعْقِلُوْنَ. يَآأَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا كُلُوْا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوْا لِلّٰهِ إِنْ كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُوْنَ﴾ (البقرة: ١٧٠-١٧١).

﴿مَثَلُ الَّذِيْنَ يُنفِقُوْنَ أَمْوَالَهُمْ فِيْ سَبِيْلِ اللّٰهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِيْ كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللّٰهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَآءُ وَاللّٰهُ وَاسِعٌ عَلِيْمٌ﴾ (البقرة: ٢٦١).

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُبْطِلُوْا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِيْ يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَآءَ النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لاَ يَقْدِرُوْنَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوْا وَاللّٰهُ لاَ يَهْدِى الْقَوْمَ الْكَافِرِيْنَ﴾ (البقرة: ٢٦٤).

﴿وَمَثَلُ الَّذِيْنَ يُنْفِقُوْنَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَآءَ مَرْضَاةِ اللّٰهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُوْنَ بَصِيْرٌ﴾ (البقرة: ٢٦٥).

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللّٰهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُوْنُ﴾ (آل عمران: ٥٩)

﴿إِنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ مِنَ اللّٰهِ شَيْئًا وَأُوْلَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيْهَا خَالِدُوْنَ. مَثَلُ مَا يُنْفِقُوْنَ فِيْ هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيْهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوْآ أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللّٰهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُوْنَ﴾ (آل عمران: ١١٦-١١٧).

﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِيْ بِهِ فِيْ النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِيْ الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِيْنَ مَا كَانُوْا يَعْمَلُوْنَ﴾ (الأنعام: ١٢٢).

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِيْ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِيْنَ. وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِيْنَ كَذَّبُوْا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُوْنَ. سَآءَ مَثَلاً الْقَوْمُ الَّذِيْنَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوْا يَظْلِمُوْنَ﴾ (الأعراف: ١٧٥-١٧٧).

﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَآءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَآ أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُوْنَ عَلَيْهَا أَتَاهَآ أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُوْنَ﴾ (يونس: ٢٤).

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُوْلَئِكَ يُعْرَضُوْنَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُوْلُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَآءِ الَّذِيْنَ كَذَبُوْا عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِيْنَ. الَّذِيْنَ يَصُدُّوْنَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ. أُوْلَئِكَ لَمْ يَكُونُوْا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُوْنِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوْا يَسْتَطِيعُوْنَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوْا يُبْصِرُوْنَ. أُوْلَئِكَ الَّذِيْنَ خَسِرُوْا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُوْنَ. لاَ جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ. إِنَّ الَّذِيْنَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوْا إِلَى رَبِّهِمْ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيْهَا خَالِدُوْنَ. مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيْرِ وَالسَّمِيْعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً أَفَلاَ تَذَكَّرُوْنَ﴾ (هود: ١٨-٢٤).

﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوْقِدُوْنَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ

يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ (الرعد: ١٧).

﴿مَثَلُ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِيْ يَوْمٍ عَاصِفٍ لاَ يَقْدِرُوْنَ مِمَّا كَسَبُوْا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلاَلُ الْبَعِيْدُ﴾ (إبراهيم: ١٨).

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَآءِ. تُؤْتِيْ أُكُلَهَا كُلَّ حِيْنٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُوْنَ. وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيْثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيْثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ (ابراهيم: ٢٤-٢٦).

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيْهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوْعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوْا يَصْنَعُوْنَ. وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوْهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُوْنَ﴾ (النحل: ١١٢-١١٣).

﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا. كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلاَلَهُمَا نَهَرًا. وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا. وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا. وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّيْ لأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾

﴿وَأُحِيْطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَآ أَنفَقَ فِيْهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوْشِهَا وَيَقُولُ يَالَيْتَنِيْ لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّيْ أَحَدًا. وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنصُرُوْنَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا. هُنَالِكَ الْوَلاَيَةُ لِلَّهِ الْحَقُّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ

عُقْبًا. وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَآءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا﴾ (الكهف: ٣٢-٤٥).

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَآءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (النور: ٣٥).

﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ. إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ. وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلاَّ الْعَالِمُونَ﴾ (العنكبوت: ٤١-٤٣).

﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا الْمُرْسَلُونَ. إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ. قَالُوا مَآ أَنْتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ الرَّحْمَانُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ. قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ. وَمَا عَلَيْنَآ إِلاَّ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ. قَالُوآ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ. وَجَآءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَاقَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ. اتَّبِعُوا مَنْ لاَ يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ. وَمَا لِيَ لاَ أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ. أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَانُ بِضُرٍّ لاَ تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلاَ يُنقِذُونِ. إِنِّيَ إِذًا لَفِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ. إِنِّيَ آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ. قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَالَيْتَ قَوْمِي

يَعْلَمُوْنَ. بِمَا غَفَرَ لِيْ رَبِّيْ وَجَعَلَنِيْ مِنَ الْمُكْرَمِيْنَ. وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُندٍ مِنَ السَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِيْنَ. إِنْ كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُوْنَ﴾ (ياسين: ١٣-٢٩).

﴿مُحَمَّدٌ رَّسُوْلُ اللّهِ وَالَّذِيْنَ مَعَهُ أَشِدَّآءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُوْنَ فَضْلاً مِنَ اللّهِ وَرِضْوَانًا سِيْمَاهُمْ فِيْ وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُوْدِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيْلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَى سُوْقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيْظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللّهُ الَّذِيْنَ آمَنُوْا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيْمًا﴾.

(الفتح: ٢٩).

﴿اِعْلَمُوْآ أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِيْنَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيْجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُوْنُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيْدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَآ إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (الحديد: ٢٠).

﴿مَثَلُ الَّذِيْنَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوْهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِيْنَ كَذَّبُوْا بِآيَاتِ اللّهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِيْنَ﴾ (الجمعة: ٥).

﴿ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً لِّلَّذِيْنَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوْحٍ وَامْرَأَةَ لُوْطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللّهِ شَيْئًا وَقِيْلَ ادْخُلاَ النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِيْنَ. وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً لِّلَّذِيْنَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِيْ عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِيْ مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِيْنَ. وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِيْ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيْهِ مِنْ رُوْحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِيْنَ﴾(التحريم: ١٠-١٢).

والناظر في هذه الآيات القرآنية يرى أنها تنبني وفق بُنى لغوية معينة ترتبط جميعها بالكيفية التي تستعمل فيها كلمة مثل في الجملة. وقد لحظ عبدالقاهر الجرجاني هذه البنية اللغوية في الأمثال حين قال: "والجملة إذا جاءت بعد المشبه به لم تخل من ثلاثة أوجه، أحدها أن يكون المشبه به معبراً عنه بلفظ موصول، وتكون الجملة صلة...كقوله تعالى ﴿**مِثْلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً...**﴾ والثاني أن يكون المشبه به نكرة تقع الجملة صفة له..كـ قول النبي - صلى الله عليه وسلم-: "الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة". والثالث أن تجيء الجملة مبتدأة وذلك إذا كان المشبه به معرفة ولم يكن هناك الذي، كقوله تعالى: ﴿**كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوْتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا**﴾(٢٢).

والأمر البين أن هذا التصنيف اللغوي الذي يقدمه الجرجاني يتأسس على ملاحظة الصيغة التي يأتي بها المشبه به والجملة التي تليه، لكنه لا يتوقف عند الكيفية التي يصاغ فيها التمثيل القرآني من خلال استعمال كلمة "مثل" التي تكوّن العنصر اللغوي المشترك في جميع آيات التمثيل في القرآن الكريم، ويُظهر تكرارها في هذه الآيات بني لغوية يمكن تصنيفها كما يأتي:

١- الآيات التي تبدأ بكملة مثل مضافة إلى الاسم الموصول الذين أو الذي ثم ترتبط بالطرف الثاني الممثل به بكلمة "كمثل" كما في الآيات:

﴿ **مَثَلُ الَّذِيْنَ يُنْفِقُوْنَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيْلِ اللّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ**﴾.

﴿ **مَثَلُ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا كَمَثَلِ الَّذِيْ يَنْعَقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ...**﴾.

ويلحق بهذه صيغ لغوية شبيهة، وهي التي جاءت فيها كلمة مثل الأولى مضافة إلى ضمير المفرد أو الجمع العائد على اسم موصول سابق، كما في قوله تعالى:

﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الكَلْبِ إنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أو تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾.

وقوله:

﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَل الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً...﴾.

أو مضافة إلى ما الموصولة، كقوله تعالى:

﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُوْنَ فِيْ هَذه الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيْحٍ...﴾.

ويمكن أن تندرج كل هذه الصيغ في صورة الصيغة اللغوية النمطية: ﴿مثل ... كمثل﴾ وقد جاءت كلمة مثل الأولى في هذه الصيغة مضافة مرة واحدة إلى علم وذلك في قوله تعالى:

﴿إنَّ مَثَل عِيْسَىٰ عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ....﴾.

٢- الآيات التي تضاف فيها مثل إلى اسم ظاهر وتقترن بالجملة الممثل بها بكاف التشبيه الداخلية على اسم ظاهر كذلك.

كقوله تعالى:

﴿إنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاة الدُّنْيَا كمَآءٍ...﴾.

﴿مَثَلُ الفَرِيْقَيْنِ كالأَعْمَىٰ وَالأَصَمِّ....﴾.

﴿اللّهُ نُوْرُ السَّمَواتِ وَالاَرْضِ مَثَلُ نُوْرِه كَمِشْكَاةٍ...﴾.

ويُوضع التمثيل هنا في الصيغة النمطية ﴿مثل ...كـ﴾.

٣- الآيات التي تضاف فيها كلمة مثل إلى اسم ظاهر دون أن تقترن بكاف التشبيه، كقوله تعالى:

﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ﴾.

وهي صيغة ذات طرف واحد ﴿كمثل ...﴾.

٤- الآيات التي تأتي فيها كلمة مثل مفعولاً به للفعل ضرب أو اضرب، كقوله تعالى:

﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً أصْحَابَ الْقَرْيَةِ...﴾.

وقوله:

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِيْنَ آمَنُوْا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ....﴾.

وهذه صيغة يمكن وصفها بصيغة "وضرب ... مثلا" وهي صيغة متكررة في القرآن الكريم سواء أذكر المثل أم أحيل عليه مجرد إحالة، وسنقف هنا عند الأمثال المذكورة في صورة قصصية.

والمقصود بالتصنيف السابق إظهار الصيغ اللغوية التي تقع التمثيلات القرآنية في إطارها، وبيان الشكل الفني الخاص بها وطبيعة علاقته بموضوع المثل ووظيفته. وإذا كان هذا التصنيف قد وضع وفقاً للصيغ اللغوية للمثل، فإن هناك تصنيفاً آخر ينبثق من النوع الذي تنتمي إليه الأمثال، وذلك لأنها لا تقع في إطار دلالي أو غائي أو لغوي واحد. ومن هنا يأتي التصنيف وفق:

أنواع التمثيلات القرآنية:

١- التمثيلات التصويرية الممتدة: وهي التي يأتي فيها الممثل به في سلسلة مترابطة من الجمل التي تقدم في الغالب صورة أو صوراً حسية تهدف إلى إيضاح صورة الممثل له أو فكرته أو حاله، كقوله تعالى:

﴿اَللهُ نُوْرُ السَّمَاوَاتِ وَالْاَرْضِ مَثَلُ نُـوْرِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيْهَـا مِصْبَـاحٌ، اَلْمِصْبَاحُ فِيْ زُجَاجَةٍ، الزُجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ، يُوْقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَـةٍ زَيْتُوْنَةٍ لاَ شَرْقِيَةٍ وَلاَ غَـرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِـيْءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ، نُوْرٌ عَلَـى نُوْرٍ، يَهْدِى اللهُ لِنُوْرِهِ مَنْ يَّشَآءُ...﴾.

فالآية الكريمة تتكون من طرفين الأول "نور الله" وهو الممثل له الذي تشـكل عمليـة إدراكـه حالـة واقعـة خـارج إطـار الإدراك أو التصور البشري، والثاني صورة النور في المشكاة... وهي الممثل به، وقد جاء في سلسلة من التصويرات الحسية الواقعـة فـي إطـار إدراك البشر وتصورهم. وبِذَا تغدُو الصـورة الثانيـة وسـيلة لإظهـار مدلـول الصورة الأولى وجعلهـا ممكنـة التصـور مـن خـلال عمليـة المقايسـة المثلية(٢٣).

٢- **التمثيلات المقارنة:** وهي التي تقـوم علـى ربـط بيـن الممثل به والممثل له في صورة.

جملتين أو صورتين متقابلتين الثانية منهما بيان لحـال الأولـى أو صورتها أو حكمها، كما في قوله تعالى:

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيْسَىٰ عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾.

فالطرفـان فـي الآيـة الكريمـة يخضعـان لحكـم واحـد دون الذهاب إلى عملية تصويرية ممتدة، كما في النوع الأول.

٣- **التمثيلات القصصية:** وهي قائمـة علـى إيـراد قصـص بكاملها بعد صيغة ضرب المثل، كقوله تعالى:

﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا الْمُرْسَلُوْنَ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ..﴾.

وقوله:

﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ...﴾.

وفي هذا النوع من التمثيلات تورد القصص القرآنية لهدف العبرة والاتعاظ اللذين يتجسدان في القصة في تشكيل تصويري حسي قادر على التأثير في نفس السامع أو المتلقي عبر معاينته للحال والأحداث والنتائج الماثلة في النص.

وهناك تمثيلات قصصية موجزة اكتفى القرآن بالإحالة عليها دون إيرادها، كقوله تعالى:

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً...﴾.

والذي يعنينا هنا هو التمثيلات القصصية الواردة في القرآن الكريم، وليس التمثيلات القصصية المحال عليها[٢٤].

التمثيلات وفاعلية التخيل:

عندما يقول الحكيم الترمذي في مقدمة كتابه **الأمثال من الكتاب والسنّة** إن الأمثال "نموذجات الحكمة لما غاب عن الأسماع والأبصار لتهتدي النفوس بما أدركت عياناً... فإذا ضربت لها الأمثال صار ذلك الأمر لها بذلك المثل كالمعاينة، كالذي ينظر في المرآة فيبصر بها وجهه، ويبصر بها من خلفه"[٢٥]، فإنه يؤشّر بدقة ووضوح على أبرز السمات التي تتصف بها التمثيلات القرآنية، وهي تقديم الأفكار والمعاني في هيئات وصور حسيّة ترقى إلى درجة المعاينة، معاينة القارئ أو المتلقي للصور

التي يقدمها النَّص تثير مخيلته، فتستعيد بناء الصورة الحسية استناداً إلى الفاعلية التصويرية التخييلية الكامنة في النّص ابتداءً، وإلى قوّة المخيلة التي يمتلكها، ليغدو كمن يواجه الصورة عياناً، ويستجيب لها تبعاً لذلك. وهذا التصور الذي يطرحه الحكيم الترمذي في مرحلة مبكرة من تاريخ النقد والبلاغة والدراسات القرآنية العربية يستند إلى مصادر نفسية فلسفية كانت متداولة منذ القرن الثالث الهجري، وهو ما نجده في الكتب التي بحثت في قوى النفس الإنسانية، وبخاصة كتاب النفس الأرسطي، الذي ستظهر طروحاته بعمق واتساع كبيرين عند الفارابي (ت٣٣٩هـ) وعند ابن سينا (ت٤٢٨هـ) حيث سيظهر مصطلح التخييل والتصوير مصطلحاً محورياً مرتبطاً بقدرة الكلام على التأثير(٢٦).

وسيدخل هذا المصطلح حقل الدراسات القرآنية مسبباً خلافاً وجدلاً كبيرين حوله. فبينما سيقف بعض البلاغيين والمفسرين ضد استعمال مصطلح التخييل مقروناً بالتمثيلات القرآنية، كما فعل عبدالقاهر الجرجاني(٢٧)، وابن المنير الإسكندري الذي يذهب إلى أن "التخييل إنما يستعمل في الأباطيل وما ليست حقيقة صدق"(٢٨) ويأخذ في مواطن متعددة من كتابه **الإنصاف في ما تضمنه الكشاف من الاعتزال** على الزمخشري استعماله هذا المصطلح في القرآن، لأن التخييل كما يرى لا يجوز استخدامه في سياق النّص القرآني وتفسيره لارتباطه بالإيهام(٢٩).

ويذهب بعض المفسرين إلى استعمال مصطلح التخييل دون تحرج في تفسير القرآن كما فعل الزمخشري في **الكشاف**؛ إذ

"استبعد كل دلالات المخادعة التي تعتور المصطلح، ولم ينظر من زاوية منطقية أو كلامية، توازن بين الصدق والكذب، كما فعل عبدالقاهر الجرجاني، وإنما نظر إلى التخييل على أساس أنه تمثيل للمعاني المجردة، وطريقة من طرائق تجسيم المعنوي وتصويره للحس فحسب. وعندما فهم الزمخشري مصطلح التخييل في هذه الحدود الفنية الخالصة، التي لا تسبب أيّ قدر من القلق الديني، تمكن من معالجة أسلوب القرآن ودراسة "تخييلاته" دون أن يشعر بشيء من الارتباك أو الحرج"(٣٠).

وأودّ أن أبيّن أن التخييل المعنى هنا هو هذا المفهوم الفني المجرد عن أي ارتباطات منطقية، إنه مفهوم يتأسس على البحث في كيفية التشكيل البياني في القرآن والبحث في فعاليته التأثيرية على المتلقي التي تمثل إحدى أهم العناصر المرتبطة بالنّص القرآني والبحث في إعجازه.

ولعل هذا الفهم هو الذي جعل سيد قطب يتحدث بإسهاب عن التخييل والتجسيم في القرآن الكريم دون أي إشارة إلى المعترضين على استعمال هذا المصطلح في حقل الدراسات القرآنية(٣١).

لقد رسّخ مصطلح التخييل بمفهومه الفنّي الذي يقترن بالتقديم الحسي التصويري للمعنويات الربط المطرّد بين المثل/ التمثيل والتصوير الحسي، بل إن بعض الباحثين ليرد أصل المثل اشتقاقياً إلى "العرض في صورة حسية"(٣٢) وهو ما يظهر كذلك في

كتب الأمثال، فالميداني يتحدث في مقدمة **مجمع الأمثال** عن هذا الأمر ذاهباً إلى القول: "سميت الحكم القائم صدقها في العقول أمثالاً لانتصاب صورها في العقول، مشتقة من المثول الذي هو الانتصاب"، ويقول في السياق نفسه أن الأصل في المثل "التشبيه فقولهم" مثل بين يديه" إذا انتصب، معناه أشبه الصورة المنتصبة"(٣٣). وتظهر الصورة نفسها عند ابن منظور حيث يقول: "مثلت له كذا تمثيلاً إذا صورت مثاله بكتابة وغيرها"(٣٤) وهو في هذا يعبّر بوضوح عن عملية التصوير اللغوي التي تجسدها النصوص القادرة على تخييل صورة معينة للمتلقي، وتمارس عليه من خلالها، تأثيراً مقصوداً. وهذا ما يتجلى في آيات التمثيل القرآنية على نحو معجز.

فعالية التمثيل التصويري:

لعل أبرز سمّة تميّز الأسلوب القرآني أنه أسلوب تصويري(٣٥) غير أن مصطلح التصوير يمكن أن يشمل أشكالاً بلاغية عديدة أخضعها البلاغيون والنقاد والباحثون في إعجاز القرآن الكريم إلى سلسلة كبيرة من التقسيمات المنطقية، والتصنيفات البلاغية، وهي تشمل التشبيهات والاستعارات والكنايات أو المجازات على اختلاف أنواعها وأشكالها(٣٦). وهذا ما نجد شواهده في الكتب البلاغية، والكتب التي خصصت لدراسة الإعجاز القرآني مثل **النكت في إعجاز القرآن** للرماني (ت ٣٨٦هـ)(٣٧)، ولكنا لا نريد أن نقف إلا عند الصورة بمفهومها الشامل ومن حيث تأثيرها في المتلقي بعيداً عن عمليات التصنيف البلاغي. وهذا عمل مارسه الزمخشري على

نحو واضح في **كشافه**. حيث ركز بحثه على عمليات التصوير الحسي في الآيات القرآنية مستعملاً مصطلحات التمثيل، والتخييل والتصوير، وهذه مصطلحات ذات طابع أعم من الاستعارات والتشبيهات[٣٨] وقد ربط التصوير القرآني باستمرار بقدرته على التأثير في نفوس المتلقين. وآيات التمثيل في القرآن من أكثر المواطن تأثيراً وفعالية، لأنها تتأسس على "إحلال طائفة من الصور الحسية محل طائفة من المعاني المجردة وربط هذه الصور الحسية ببعض برباط ذهني"[٣٩] فإن نحن قرأنا الآية: ﴿**مَثَلُ الَّذِيْنَ يُنفِقُوْنَ أَمْوَالَهُمْ فِيْ سَبِيْلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِيْ كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَآءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيْمٌ**﴾ (البقرة: ٢٦١).

رأينا في الآية الكريمة طرفين، الأول يمثله حال الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله، وهي حال مدركة غير واقعة في إطار الحس. والثاني في الصورة الحسية المركبة التي توضح الحال الأولى المدركة، إذ ستتجسد الحال الأولى في عملية تصوير متصاعد متضاعف لعمل الخير المعاين في صورة حبة تتضاعف على نحو لا نألفه إلا في القرآن الكريم، فالحبة تنبت سبع سنابل، وفي السنبلة مئة، "وهذا التمثيل تصوير للأضعاف كأنها ماثلة بين عيني الناظر"[٤٠] كما يقول الزمخشري، ولكن علينا أن لا نقف عند صور التضاعف المتصاعد الممثل عيانا، بل نجاوزه إلى الوقوف على تأثير ذلك في نفس من يعانيه، أو من يجنيه، فالتضاعف الحاصل في السنبلة باعث على الشعور الكبير بالفرح الناجم عن الحصول على نتيجة غير

متوقعة، لأن الزارع يظل يعيش على أمل الحصول على نتيجة عمل غير مؤكدة فإذا قدر له أن يحصل على مردود يفوق ما أمل، فإن فرحه بذلك يكون مضاعفا كذلك. وهذا يقود إلى الربط بين الحالتين: بين حال المنفق في سبيل الله، وبين حال الزارع من حيث الفعل ونتيجته، والحال الثانية بفعلها ونتيجتها الممثلة عيانا والباعثة على الإحساس بالرضى وحسن العاقبة تنسحب تلقائيا على الحال الأولى للمنفق في سبيل الله، لتغدو عاقبة الإنفاق كسبا مضاعفا يبعث على الإحساس بالفوز والطمأنينة. وهذا ما تهدف إليه الآية الكريمة، إذ ستصبح صورة الربح والفوز هي الصورة الملازمة لمخيّلة المنفق في سبيل الله، ولا بد له أن يفعل ذلك إن هو أراد أن يعاين صورة تضاعف العمل الخير الباعثة على شعور غامر بالفوز والرضى(٤١).

مقابل هذه الصورة التمثيلية للنماء المتضاعف نجد صورا معبرة عن المحق، كما في قوله تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا لاَ تُبْطِلُوْا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِيْ يُنفِقُ مَالَهُ رِئَآءَ النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لاَ يَقْدِرُوْنَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوْا وَاللَّهُ لاَ يَهْدِى الْقَوْمَ الْكَافِرِيْنَ**﴾ (البقرة: ٢٦٤).

فالممثل له في الآية المؤمنون الذين يتبعون الصدقة بالمنّ والأذى، والممثل به جاء في صورة تمثيلية كاملة مكونة من طرفي تمثيل ممثل له مرة أخرى، وهو المنافق، وهو ممثل به في الوقت نفسه، والممثل به يأتي في هيأة صورة التمثيل. ويبدأ من قوله تعالى: ﴿**كَمَثَلِ صَفْوَانٍ...**﴾ التي تجسد حال المنفق الذي يتبع إنفاقه المن

والأذى بصورة الصخرة الصماء المكسوة بالتراب وهي صورة موهمة بإمكانية النماء، ولكن الحقيقة تبدو حين تصاب بالماء الذي يمثل رمز الحياة، وسبب الإنبات ولكن النتيجة تكون إنهاء حالة الإيهام الخادع، وبيان الحقيقة عارية مرّة كصورة الصخرة الصماء التي تتجلى حقيقتها بعد سقوط المطر عليها. وهذه الصورة الحسية الماثلة للعيان تترك في نفس معاينها حالة من الشعور بالإحباط الناجم عن النتيجة التي آل إليها عمله الذي ظنه عمل خير ينمو، فإذا هو يتبدي عن صورة تمثل القسوة والإحساس بالخسران والإنكشاف أمام الآخرين عارياً من الوهم الكاذب(٤٢). وهذا كله يحدث في إطار عملية إدراك ترابطي بين الصورة الحسية للتّراب والصفوان التي مثّلها القرآن وخيلها أمام الناظرين، وبين حال الممثل له الذي ينفق رئاءً معتقداً الفوز، فإذا به يدرك أن عمله لا يجاوز صورة القشرة الترابية فوق الصخرة الصماء التي لا تصمد أمام الحقيقة(٤٣).

ولا بُدّ من أن نلحظ هنا أن الصور التمثيلية تأتي ممتدة مفصلة حسية، وهو ما يجعلها ممكنة الحضور تخيلاً عند المتلقي، وقادرة على التأثير فيه عبر وضوحها وجلائها لحقيقة ما تريد التعبير عنه. وقد فسَّر الجرجاني قدرة التمثيل على التأثير في النفس من هذا الجانب، فرأى "أن أنس النفوس موقوف على أن تخرجها من خفي إلى جليّ، وتأتيها بصريح بعد مكني، وأن تردها في الشيء تعلمها إياه إلى شيء آخر هي بشأنه أعلم، وثقتها به في المعرفة أحكم، نحو أن تنقلها عن العقل إلى الإحساس وعما يُعلَم بالفكر إلى ما يُعلَم

بالاضطرار والطبع، لأن العلم المستفاد من طرق الحواس أو المركوز فيها من جهة الطبع وعلى حدّ الضرورة يفضل المستفاد من وجهة النظر والتفكير في القوة والاستحكام، وبلوغ الثقة فيه غاية التمام، كما قالوا: "ليسَ الخبر كالمعاينة" ولا الظن كاليقين"(٤٤).

وهذا النّص المتسم بالدّقة والعمق الذي يأتي به الجرجاني لبيان سبب تأثير التمثيل في النفس ينهض على تصورات نفسية فلسفية تبين عن الكيفية أو الكيفيات التي تستجيب فيها النفس الإنسانية لما تحس وتعاين أكثر من استجابتها لما هو فكري مجرد، ولذا فإن الخطاب القرآني جاء مؤسساً على عمليات التصوير التأثيري الذي يشكل فعالية نفسية تملي استجابتها على المتلقي وتجعله يستقبل الصورة ويستجيب لما تكشفه هي له من المعنى الذي لمْ يكن قد وقف عليه في الفكرة الممثل لها(٤٥).

ويمكن أن نأخذ نموذجاً آخر للتصوير الحسي المركب التفصيلي الذي يهدف إلى جلاء حال أو هيأة لا تقع في مُكنة التصوُّر البشري، فينقلها القرآن الكريم إلى صورة حسية تمثل العيان. ففي الآية الكريمة:

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ من سورة النّور. نجد أن الممثل له يأتي في جملة واحدة ذات دلالة شمولية لا تخضع للتصور البشري، في حين يأتي الممثل به في سلسلة متصلة مترابطة من الجمل التي يمثل كلٌّ منها صورة جزئية مألوفة حسياً للمتلقي، تتألف من صورة جزئية حسية أخرى تزيد الأولى وضوحاً وتكثيفاً وهكذا

حتى نهاية الآيـة. فالجملـة الأولـى تقـدم دلالـة يصعـب تحديدهـا أو تخيلها لأن التصور الإنساني غير قادر على إدراك المطلـق ﴿**اللَّـهُ نُـوْرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾، ولذا فإن الممثل به التالي سيقلص الصـورة إلـى جزء صغير مدرك مألوف للناس جميعاً، فمثل نور الله كمثل **مشـكاة** وهي الكوة الجدارية غير النافذة يوضع فيها مصدر النور ليكون ذلـك "أضـوأ لـه وأجمـع لنـوره"، ثـم يوضـع فيهـا مصبـاح" سـراج ضخـم ثاقب"(٤٦) والمصباح في زجاجة وهذه ثلاثة عناصر يدخل كـل منهـا لزيادة تكثيف حضور النور في مكان ضيق محدد "مشكاة/ مصبـاح/ زجاجة" وكلها عناصر بيتيه مألوفة تمثـل حضـوراً حسـياً دائمـاً عنـد المتلقي، يستشعره أثناء متابعته إياها بالألفة والوضوح والصغـر، وهنـا تعود الآية الكريمة لتنقل ذهن الفرد من أكثر الأشياء محدودية وصغراً وحسية داخل بيته، لكي لا يبقى محصـوراً فـي إسـارها إلـى الفضـاء الكوني مرة أخـرى لتذكره بأن صورة التمثيل هذه ترتبط بنور الله في السموات والأرض، فتجعل الزجاجـة التـي فيهـا المصبـاح الـذي فـي المشـكاة مثـل كوكـب درّيّ، وهـي نقلـة إلـى مصـدر ضـوء كونـي حسي، لكنه غيرمدرك في صورته الحقيقية. ثم تعود الآية مرة أخـرى إلى الألفة فالزيت الذي يوقد منه المصباح من شـجرة مباركـة ممثلـة للنور المطلق، فزيتها يضيء بذاته. وتكتمـل عنـاصر الصـورة القرآنيـة عبر تفصيلاتها لتقدم للمخيلة الإنسانية صورة لكمية هائلـة مـن النـور تجتمع في حيّز محدود مدرك يتصوره البشر، ليسـتطيعوا مـن خلالـه

تصور ما لا يقع في حيّز التصور البشري وهو مطلق نور الله في السموات والأرض(٤٧).

ولعل المرء بعد الوقوف على هذه الصورة يستنكر مقولة الجرجاني عن أنس النفس الإنسانية بالمعاين وإدراكها إياه وفرحها به، لأنها تصل إلى حال "كشف الحجاب عن الموصوف المخبر عنه، حتى يرى ويبصر، ويعلم أسرار كونه على ما أثبتته الصفة عليه موازنة ظاهرة صحيحة(٤٨).

التمثيلات القصصية:

تتميز التمثيلات القصصية عن "القصص الحقيقية" في القرآن الكريم سياغة باقترانها بضرب المثل، وموضوعا وبناء بعدم اعتمادها على شخصيات معينة أو أماكن معينة كما يقع في القصص القرآنية الأخرى. وتقوم هذه التمثيلات القصصية على عمليات تصوير مشهدي حواري كما في قوله تعالى: ﴿ **وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ**﴾ وقوله: ﴿**وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا الْمُرْسَلُوْنَ..**﴾.

ففي هذين التمثيلين القصصيين نجد قصصية حوارية متسلسلة، ففي المثل الأول يدور الحوار بين رجلين اثنين أحدهما أَبْطَرَهُ مَا امْتَلَكَ مِنْ نِعْمَةٍ ممثلة بجنتين أورد القرآن الكريم لهما وصفاً دلالياً هادفاً إلى عرض صور النعمة عرضاً حسياً يؤشر على استكمال عناصر الامتلاك والرفاه وحياة النعيم، ليجعل هذا الوصف مقدمة لكفر صاحبها بالنعمة، لما أحس به من العجب والتفاخر

بالامتلاك الذي تبدي في خطابه لصاحبه ﴿**أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً**﴾؛ بل إنه ليجاوز ذلك إلى الشعور باليقين أن ما يملكه لا يزول وأنه "إن ردَّ إلى ربه - على سبيل الفرض والتقرير كما يزعم صاحبه- ليجدن في الآخرة خيراً من جنته في الدنيا"(٤٩). في مقابل هذه الشخصية تبرز الشخصية الأخرى التي تحاول تذكيرها بترابية الإنسان وبفضل الله عليه، وبأن النعمة لا تدوم يعطيها الله ويسلبها الله.وبعد عرض هذا المشهد الحواري الذي بدأ بلوحة تصويرية للجنتين وبهائهما يأتي المشهد الختامي الذي يمثل نتيجة الكفر بالنعمة، وتعود اللوحة التصويرية التي ظهرت في مقدمة القصة للظهور في نهايتها ولكن على نحو مقلوب تماماً، فالجنتان أصبحتا "صعيداً زلقاً" لا ماء فيهما ولا خضرة، لقد هلكت وهلك صاحبها وزال بهاؤها، وأصبح المعجب الجاحد للنعمة "يقلب كفيه" ندماً وحسرة(٥٠).

والعظة والعبرة المثَلية تظهر في صورة مقدمات ونتائج ظاهرة في "التمثيل القصصي" تملك قوّة قياس ينسحب على الحالات الأخرى المماثلة. وهذا ما يجعل هذه الصورة من التمثيل القصصي مثلاً للمتلقين يتعظون به، ويأخذون منه العبرة.

أما مثل أصحاب القرية في سورة ياسين فقد جاءت في ثلاثة مشاهد حوارية حجاجية غاب عنها العنصر التصويري الذي رأيناه في تمثيل "صاحب الجنتين وصاحبه"، وذلك لأن الغاية تتمحور حول هداية أهل القرية المكذبين المصرّين على كفرهم، على الرغم من

محاولات الرسل هدايتهم إلى لحق المؤيد بالبراهين. ولذا فقد بدأ هذا المثل بموقف حواري احتجاجي مثله طرفان أهل القرية والمرسلون إليهم لهدايتهم، فالله سبحانه يرسل إلى أهل القرية رسولين، لكنهم يكذبونهما، فيبعث الله برسول ثالث، ولعلنا نتبين أن تعدد الرسل هنا يظهر سلف أهل القرية وعنادهم وإصرارهم على تكذيب الرسل، وهذا ما يعمق الإحساس بالمشهد الحجاجي، الذي يتأكد ويتعمق عبر شخصية الرجل المؤمن الذي يشارك الرسل في دعوة قومه إلى الإيمان، ولكنهم يصرون على موقفهم. وعند هذه النقطة يصل الموقف الحجاجي إلى قمة التعقيد الذي ينتهي بعقاب أهل القرية على فجورهم وكفرهم على نحو مباغت ﴿ **إِنْ كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُوْنَ**﴾، وليكونوا بهذه النتيجة عبرة ومثلاً يدرك بالمماثلة والمقايسة على كل حالة مشابهة، بغض النظر عن الزمان والمكان. وهو ما يمنح المثل حضوراً دلالياً اعتبارياً مفتوحاً ومؤثراً(٥١).

وثمة ظاهرة مشتركة في بنية التمثيلات القرآنية القصصية وهو تسلسلها إلى أن تصل درجة التعقيد الذي يحل بإنزال العقاب بالممارين المصرّين على كفرهم في نهاية القصة، وهو أمر يصبح منتظراً عند المتلقين بعد سلسلة الصور الحجاجية غير المجدية التي بذلها المرسلون في القصة الأخيرة، والتي طرحها الرجل المؤمن في القصة السابقة. ومثل هذه البنية تقود إلى القبول بالنتيجة والتسليم بها بوصفها نتيجة منطقية للمقدمات في المواقف السابقة.

وثمة تمثيلات قصصية أخرى في القرآن تتسم بالإيجاز، إذ تكتفي بالإحالة على القصة دون إيراد تفصيلاتها، كما في قول تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِيْنَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوْحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيْلَ ادْخُلاَ النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِيْنَ. وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِيْنَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِيْ عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِيْ مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِيْنَ. وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِيْ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيْهِ مِنْ رُوْحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِيْنَ﴾.

(التحريم: ١٠-١٢).

فالآيات الكريمة تقدم مثلين يعبران عن هدف واحد، وإن كانا يصوران حالتين متضادتين. فالمثلان يؤكدان على أن الإنسان يتحمل تبعات عمله ويتحملها وحده دون غيره ممن يرتبط به. فامرأة نوح وامرأة لوط لم يشفع لهما كونهما ارتبطتا بنبيين من أنبياء الله[٥٢]. وبالمقابل فامرأة فرعون ومريم ابنة عمران نجتا وفازتا برضا الله ونعمته على الرغم من أن الأولى كانت في ظل جبار عدو لله، والثانية منحها صلاحها وعفتها وقنوتها رحمة الله ورضوانه، على الرغم مما حاول اليهود أن يمسكوه بها. وهكذا ينهض التمثيلان على "وجود الصلاح في الإنسان كائناً من كان، وأنه وحده هو الذي يبلغ به الفوز، وينال ما عند الله"[٥٣]. وواضح أن التمثيل هنا يستند إلى احتجاج بيّن بالوقائع التاريخية، مما يعني أن الهدف الديني يلتقي بالهدف الفني والتاريخي في إطار واحد متماسك"[٥٤]. ونلمح من

تفسير الزمخشري مدى التركيز على الجانب الاحتجاجي في هذا النوع من التمثيلات القرآنية، الذي يتأسس على عملية مقابلة تقرن بين طرف مؤكد حكمه غير قابل للجدل مع طرف يقع فيه الجدل والخلاف، وتقوم عملية المقابلة التمثيلية هذه بدور الحجة القاطعة التي تحسم أمر الخلاف في الطرف الممثل له من خلال انسحاب حكم الطرف الثاني الممثل به بالضرورة والقياس عليه.

التمثيل المقارني:

وهذه النوع من التمثيل يتكون من حيث بنيته اللغوية من طرفين مفردين متقابلين، أي أن الطرف الممثل به يأتي في صورة موجزة غير ممتدة كتلك التي تتكرر في التمثيلات التصويرية، ولذا فقد أدخل بعض البلاغيين هذا النوع من التمثيلات في باب التشبيه لأنه يقف عند حد المقابلة بين الطرفين(٥٥). ويستشهد على هذا النوع بقوله تعالى: ﴿**إِنَّ مَثَلَ عِيْسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ**﴾.

وقوله: ﴿**وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيْثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيْثَةٍ...**﴾.

وفي هذا النوع من التمثيلات ينسحب حكم الطرف الثاني على الطرف الأول، ويكون بهذا في حكم الحجة المقنعة، كما يتبدى في الآية الكريمة التي تقرر أن حكم خلق عيسى كحكم خلق آدم، فاللّه "خلق آدم من تراب ولم يكن ثمة أب ولا أم فكذلك حال عيسى... ولأن الوجود من غير أن ولا أم أغرب وأخرق للعادة من الوجود من غير أب، فشبه الغريب بالأغرب ليكون أقطع للخصم، وأحسم لمادة شبهته..." (٥٦).

إن ما أرادت هذه الورقة بيانه لهو النظر في التمثيلات في القرآن الكريم من حيث بنيتها وتركيبها اللغوي الذي يظهر تميزها بصورة واضحة عن المفهوم المتداول وبيته. وهذا ما ذهبتُ إلى جلائه من خلال التوقف عند بنيته المثل القرآني اللغوية ووصفها وتصنيفها، كما أردفت ذلك بحديث عن فعالية المثل التخييل التي تتأسس على كونه مكوناً من بُنى تصويرية قادرة على استشارة صورة في خيال المتلقي تنقله من النص إلى ما هو مبصر مؤثر عبر قوة المخيلة التي يمتلكها الإنسان، لنصل إلى بيان صور هذه التأثيرات من خلال تحليل لنماذج من التمثيلات القرآنية التي تجسد هذا الأمر بجلاء وعمق تأمين.

ملخص:

تهدف هذه الورقة إلى قراءة جانب من جوانب الإعجاز البياني في القرآن الكريم، وهو بنية التمثيل التي تكررت على نحو لافت للنظر في عدد غير قليل من الآيات القرآنية التي تبدأ بكلمة "مثل" أو تتضمنها، وتتأسس في بنية لغوية بلاغية خاصة يمكن وسمها ببنية التمثيل الممتد.

ومعظم هذه الآيات ترمي إلى تجسيد الفكرة في صورة أو صور حسية يمكن معاينتها من خلال العلاقة الحيوية بين النص القرآني الذي يملك فاعلية تخييلية لا ترد وبين مخيلة المتلقي التي تكوّن الصورة كما يرسمها أو يجسدها النّص لها. وهذا ما يجعل

الوقوف، ابتداءً، على هذه البنية ومحاولة فهمها ضرورة لفهم الفاعلية التخييلية التأثيرية للنص القرآني.

ويجدر التذكير هنا أن هذه البنيـة قـد أثـارت اهتمـام العلمـاء والباحثين في إعجاز القرآن قديماً وحديثاً، فأشاروا أو عرضوا لبعـض مناحيها في كتب التفسير، وبعض الكتب البلاغية والنقدية. وهـذا مـا ستقف عليه هذه الورقة محاولة الإفادة منه في تقديم تصـور تفصيلـي لبنية التمثيل في الآيات القرآنية، وبيان نسقها اللغوي البلاغي الخـاص بها الذي يمنحها فعلها التأثيري المستمد من طاقتها التخييلية القـادرة على التأثير في المتلقي تأثيراً يصل حد القبول المطلق.

هوامش

١- **لسان العرب**: مثل.

٢- انظر: أبو عبيدة: **مجاز القرآن** ٣٢٣/١.

الجوهري: **الجمهرة**: مثل.

ابن فارس: **مقاييس اللغة**: مثل.

٣- انظر: ابن قتيبة: **تأويل مشكل القرآن** ٣٧٨.

الطبري: **جامع البيان** ١٣٩/١.

الزمخشري: **الكشاف** ١٩٥/١.

٤- انظر حديثاً عن الأمثال ودلالتها اللغوية والاصطلاحية في:

محمد الفياض: **الأمثال في القرآن** ٢٧-٦٦.

محمد الصغير **الصورة الفنية والمثل القرآني** ٤١-٦٩.

زلهايم: **الأمثال العربية القديمة** ٢١-٣٨.

ولاحظ المصادر الكثيرة التي عادت إليها هذه الدراسات.

٥- انظر: G. Ueding: Einfuhrung. S. 275.

٦- انظر: قدامة جعفر: **نقد الشعر** ١٥٩-١٧٥.

ابن وهب الكاتب: **البرهان** ٦٦-٦٧.

العسكري: **الصناعتين** ٣٨٩- الجرجاني: **أسرار** ٩٦-٩٧.

القزويني: **التلخيص** ٣٢٢-٣٢٤.

ابن الأثير: **المثل السائر** ١٣٦/٢-١٣٧.

٧- قدامة: **نقد الشعر** ١٦٠.

٨- ابن وهب الكاتب: **البرهان** (المنشور تحت عنوان نقد النثر والمنسوب خطأ لقدامة بن جعفر) ٦٦.

٩- المصدر نفسه ٦٧.

١٠- المصدر نفسه.

١١- أرسطو: **الخطابة** (ترجمة عبدالرحمن بدوي) ١٥٧.

١٢- انظر طه حسين/ **مقدمة في البيان العربي** ١٩-٢٣.

١٣- الجرجاني : **أسرار البلاغة** ٨٠-١٢٨.

١٤- المصدر نفسه ٨١.

١٥- المصدر نفسه ٩٦-٩٧.

١٦- ابن رشيق : **العمدة** ٢٧٧/٢.

١٧- المصدر نفسه ٢٨١/١ وانظر محمد الفياض: **الأمثال** ٢١٢- ١٥.

١٨- القزويني: **التلخيص** ٣٢٤.

١٩- ابن الأثير: **المثل السائر** ١١٥/٢.

٢٠- انظر محمد الفياض: **الأمثال في القرآن** ١٤١-١٥١.
محمد الصغير: **الصورة الفنية في المثل القرآني** ٤١-٦٦.

٢١- انظر المصدرين السابقين.

٢٢- الجرجاني: **أسرار** ١٠١.

٢٣- قارن أنواع التمثيلات عند محمد الفياض: **الأمثال** ١٠١- ١٣٥.
ومحمد الصغير: **الصورة الفنية** ١٠٥- ١٣٠.

٢٤- **حول الأمثال القصصية** انظر محمد الفياض:**الأمثال** ٢٢٨-٢٣١ وانظر مصادره.

٢٥- الحكيم الترمذي: **الأمثال من الكتاب والسنة المقدمة.**
(انظر الاقتباس في كتاب محمد الفياض ١٠٤).

٢٦- انظر الفارابي رسالة في قوانين **صناعة الشعراء** وابن سينا **تلخيص كتاب الشعر ضمن كتاب فن الشعر** لأرسطو ترجمة عبدالرحمن بدوي، وانظر دراسة: W.Heinrichs: Die Antike حول هذا الموضوع.

٢٧- الجرجاني: **أسرار** ٩٦، وقارن جابر عصفور: **الصورة الفنية** ٧٧.

٢٨- ابن المنير الإسكندري: **الإنصاف** (بهامش الكشاف) ٣٨٥/١.

٢٩- انظر جابر عصفور: **الصورة الفنية** ٧٧-٧٨.

٣٠- المصدر نفسه ص ٧٨.

٣١- سيد قطب: **التصوير الفني في القرآن**، ٧١-٧٦.

٣٢- زلهايم: **الأمثال العربية** ٢٢. وهو ينقل هنا رأي فلايشر.

٣٣- الميداني: **جمع الأمثال** ١.

٣٤- ابن منظور : **اللسان**، مثل.

٣٥- انظر سيد قطب: **التصوير الفني** ٧١. محمد الصغير: ١٤٧- وهذه الفكرة فكرة عامة متداولة.

٣٦- يمكن مراجعة بعض كتب التفسير بخاصة **الكشاف** وكذلك الكتب البلاغية والنقدية. انظر على سبيل المثال **أسرار البلاغة** عبدالقاهر الجرجاني.

٣٧- انظر الرماني: **النكت في إعجاز القرآن** ٧٥-١١٣.

٣٨- انظر جابر عصفور: **الصورة** ٢٢٧ و٢٦٦.

٣٩- المصدر نفسه ٢٦٧. وهو ينقل هنا من رسالة مخطوطة يشكري عياد بعنوان" من **وصف القرآن يوم الدين والحساب**".

٤٠- الزمخشري: **الكشاف** ٣٩٣/١.

٤١- قارن محمد الصغير : **الصورة في المثل** ١٧٢- ١٧٣.

محمد الفياض: **الأمثال في القرآن** ٣٢٠-٣٢٣.

٤٢- قارن المصدرين السابقين.

٤٣- انظر **الكشاف** ٣٩٥/١.

وقارن محمد الفياض ٣٢٦- ٣٣٨. وانظر مراجعه.

٤٤- الجرجاني: **أسرار** ١٠٥-١٠٨.

٤٥- انظر سيد قطب: **التصوير الفني**.

٤٦- الزمخشري: **الكشاف** ٦٨/٣.

٤٧- قارن الصغير: **الصورة الفنية**، باب التشبيه.

٤٨- الجرجاني: **أسرار** ١١١.

٤٩- الزمخشري: **الكشاف** ٤٨٤/٢.

٥٠- قارن الصغير: **الصورة الفنية**، ٣١٠-٣١٥.

٥١- قارن المصدر نفسه ٣١٦-٣١٩.

وانظر المثل وقصته في **الكشاف** ٣١٧/٣-٣٢٠.

٥٢- المصدر نفسه ١٣١/٤.

٥٣- الصغير: **الصورة الفنية**، ٣٢٢.

٥٤- انظر الرماني: **النكت** ٧٥-٧٦.

وقارن الصغير: **الصورة الفنية**، ١١٢.

وفياض: **الأمثال** ١٢٥.

٥٥- الزمخشري: **الكشاف** ٤٣٣/١.

٥٦- المصدر نفسه ١٣٠/٤.

المراجع

١- ابن الأثير، ضياء الدين: **المثل السائر في أدب والشاعر**. تح . أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر، ط ٢ القاهرة ١٩٧٣م.

٢- أرسطو: **فن الشعر**، مع الترجمة العربية القديمة وشروح الفارابي وابن سينا وابن رشد. وعبدالرحمن بدوي، دار الثقافة بيروت دت.

٣- أرسطو: **الخطابة** تر. عبدالرحمن بدوي،دار الرشيد للنشر، بغداد ١٩٨٠م.

٤- الجرجاني، عبدالقاهر: **أسرار البلاغة**، تح. هلموث ريثر، دار المسيرة، ط ٣، بيروت، ١٩٨٣م.

٥- الحكيم الترمذي: **الأمثال من الكتابة والسنة**، تح. علي البيجاوي، القاهرة ١٩٧٥م.

٦- الرماني، أبو الحسن علي بن عيسى: **النكت في إعجاز القرآن**، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، تح. محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، ط٢ القاهرة ١٩٦٨م.

٧- زلهايم رولدف: **الأمثال العربية القديمة**، تر. رمضان عبدالتواب، مؤسسة الرسالة؛ ط٢، بيروت ١٩٨٢م.

٨- الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود ابن عمر: **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل**، دار الفكر بيروت ١٩٧٧م.

٩- الصغير، محمد حسين: **الصورة الفنية في المثل القرآني**، دراسة نقدية بلاغية، دار الرشيد بغداد ١٩٨١م.

١٠- الطبري، أبو جعفر محمد بن حرير: **جامع البيان في تفسير القرآن** ، القاهرة د. ت.

١١- طه حسين: **تمهيد في البيان العربي** من الجاحظ إلى عبدالقاهر. نشر في مقدمة كتاب (نقد النثر) **البرهان في وجوه البيان** لابن وهب الكاتب.

١٢- أبو عبيدة معمر بن المثنى: **مجاز القرآن**، تح. محمد فؤاد سزكين، مطبعة السعادة، القاهرة ١٩٥٥م.

١٣- العسكري، أبو هلال: **كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر**. تح. مفيد قميحة، ط٢ بيروت ١٩٨٤م.

١٤- عصفور جابر: **الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب**، المركز الثقافي العربي، ط٣ ، بيروت ١٩٩٢م.

١٥- ابن فارس، أحمد: **معجم مقاييس اللغة**، تح. عبدالسلام هارون، دار إحياء الكتب العربية القاهرة ١٣٦٦هـ.

١٦- الفياض، محمد جابر: **الأمثال في القرآن الكريم**، المعهد العالمي في الفكر الإسلامي، ط٢ الرياض، ١٩٩٥م.

١٧- ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم: **تأويل مشكل القرآن** تح. أحمد صقر، القاهرة ١٣٧٣هـ.

١٨- قدامة بن جعفر: **نقد الشعر**، تح. عبدالمنعم خفاجي، بيروت د.ت.

١٩- القزويني، جلال الدين محمد بن عبدالرحمن : **التلخيص في علوم البلاغة**، تح. عبدالرحمن البرقوقي دار الكتاب العربي بيروت د.ت.

٢٠- قطب، سيد: التصوير **الفني في القرآن**، دار الشروق ط ٨، بيروت ١٩٨٣.

٢١- مطلوب، أحمد: **معجم المصطلحات البلاغية** وتطورها، المجمع العلمي العراقي، بغداد ١٩٨٦م.

٢٢- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: **لسان العرب**، دار صادر بيروت د.ت.

٢٣- الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد : **مجمع الأمثال**. تح . محمد محي الدين عبدالحميد ، دار المعرفة بيروت ١٩٥٥م.

٢٤- ابن وهب الكاتب: **البرهان** (منشور بعنوان نقد النثر ومنسوب خطأ لقدامة) عبدالحميد العبادي. القاهرة د. ت.

25- Heinrichs, W. Die Antike Verknupfung von phantasia und Dichtung bei den Arabern ZDMG. (128), 1978, S 252-298

26- Knapert: mathal in: Encyclopaedia of Islam, new edition, Leiden 1992.

27- Ueding, Gert: Einfuhrung in die rhetorik, Metzer, Stuttgart 1976.